

الإحكام لابن حزم

ضرورة .

ولدولة السريانيين مذ ذهبت وبادت آلاف من الأعوام في أقل منها ينسى جميع اللغة .
فكيف تفلت أكثرها وإِ تعالٰ اعلم .

ولسنا نقطع على أنها اللغة التي وقف إِ تعالٰ عليها أولا ولا ندرې لعل قائلا يقول لعل
تلك اللغة قد درست البتة وذهبت بالجملة أو لعلها إحدى اللغات الباقية لا نعلمها بعينها
وهذا هو الذي توجبه الضرورة ولا بد مما لا يمكن سواه أصلا وقد يمكن أن يكون إِ تعالٰ وقف
آدم عليه السلام على جميع اللغات التي ينطق بها الناس كلهم الآن .

ولعلها كانت حينئذ لغة واحدة مترادفة الأسماء على المسميات ثم صارت لغات كثيرة إذ
توزعها بنوه بعد ذلك وهذا هو الأظهر عندنا والأقرب إلا أننا لا نقطع على هذا كما نقطع على
أنه لا بد من لغة واحدة وقف إِ تعالٰ عليها ولكن هذا هو الأغلب عندنا نعني أن إِ تعالٰ
وقف على جميع هذه اللغات المنطوق بها وإنما ظننا هذا لأننا لا ندرې أي سبب دعا الناس
ولهم لغة يتكلمون بها ويتفاهمون بها إلى إحداث لغة أخرى وعظيم التعب في ذلك لغير معنى
ومثل هذا من الفضول لا يتفرع له عاقل بوجه من الوجوه فإن وجد ذلك فمن فارغ فضولي سيء
الاختيار مشغول بما لا فائدة فيه عما يعينه وعما هو أكد عليه من أمور معاده ومصالح دنياه
ولذاته وسائر العلوم النافعة .

ثم من له بطاعة أهل بلده له في ترك لغتهم والكلام باللغة التي عمل لهم ولكننا لسنا نجعل
ذلك محالا ممتنعا بل نقول إنه ممكن بعيد جدا فإن قالوا لعل ملكا كانت في مملكته لغات
شتى فجمع لهم لغة يتفاهمون بها كلهم قلنا لهم هذا ضد وضع اللغات الكثيرة بل هو جمع
اللغات على لغة واحدة ثم نقول وما الذي كان يدعو هذا الملك إلى هذه الكلفة الباردة
الصعبة الثقيلة التي لا تفيد شيئا وكان أسهل له أن يجمعهم على لغة ما من تلك اللغات
التي كانوا يتكلمون بها أو على لغته نفسه فكان أخف وأمكن من إحداث لغة مستأنفة وعلم
ذلك عند إِ D .

وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات .

وهذا لا معنى له لأن وجوه الفضل معروفة وإنما هي بعمل أو اختصاص ولا عمل للغة ولا جاء
نص في تفضيل لغة على لغة وقد قال تعالٰ { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم
فيضل إِ من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم }